قضايا الأدب والأدباء

الفنان والخلق الثوري

بقلم علي الحلي

الفنان الثوري الاصيل في المستوى المقبول ، بعيدا عن الحرية الجدية ، تنبع ثوريته الصافية من خلال عقيدته الثابتة ، الواضحة الخطوط والاهداف . وبالقدر الكبير الذي تكون فيه هذه الثورية .. عفوية .. معمقة .. بريئة .. صادقة ، تتحدد معالم اخلاقيته في اطار ، لا يفتقر الى التنظيم الحقيقي الواعي المسؤول .

وازاء هذا المفهوم ، لا يسوغ لنا ان نقبل بموقف يتخذه فنان ثوري ، او هكذا يطبع في ذهن الناس .. في مرحلة زمنية معينة وهو بعيد عن غبار المعركة ،بقصد ارضاء الجماهير الشعبيةوالاستحواز على مشاعرها واستدرار تصفيق المناضلين في دروب الحياة الشائكة.

وعندما تسنح ظروف جديدة ، ويتمالك مثل هذا الفنان على طعن مكتسبات الشعب والتهليل للطغاة والديكتاتورية ومن ثم شتم الاف الشهداء والقرابين الذين سقطوا على مذبح الحرية والوحدة والاشتراكية ... لماذا نحاول ان نفتش عن كل المبررات الباهتة والتفسيرات البائسة لهذا الموقف الشائن ؟! هل الفنان هنا يؤدي دور « المراهق » الساذج ؟!! لماذا نكيف هذه المعطيات اللا اخلاقية في التفكير والتعبير على نقيض الاصالة الثورية من حيث الاساس ؟!

اليس هذا الموقف الاخير عملا خيانيا ؟! وهل يجوز لنا ان نجرد الفنان من الايمان بالمسؤولية الجماعية تبعا لتغير الظروف والاحوال ؟! وهل يسوغ لنا ان نعمل له جردا حسابيا عن كل مرحلة وطنية كانت او خيانية ... ومن ثم نخلص في النتيجة الى القول بان هذا الفنان عنصر خيروطيبة ووطنية وشهامة ... كحصيلة جدية في الحكم .. ونحن نعرف جيدا باننا نسلخ كل خطاياه واثامه بحق امته وتنكره لاهدافها المثلى .

في يقيني .. ان سموم الانتهازية لا يتاتى خطرها المحدق بقضية الجماهير العادلة من اولئك المغفلين والبسطاء والمصلحين والانتفاعيين ومن على شاكلتهم بقدر ما يتسرب الخطر المباشر من اولئك الموجهين والمفكرين الذين يفترض فيهم اساسا اصالة الشعور المدرك بعمق المسؤولية الاخلاقية ، والالتزام البعيد المدى تجاه النقاوة الوجدانية في اعماق النفوس

ان الاستمرارية الاخلاقية الناصعة بالنسبة للفنان الثوري دونما شطر لاتجاهات المراحل الزمنية والظروف المتلونة . شرط موضوعي وعلى جانب كبير من الاهمية لمنح المنطلق العقائدي سمات النقاء والنماء والاشراق .. وباتجاه متصف بالصمود والديمومة .

ان تميز بعض الفترات الزمانية التي تمر بها حياة الفنان الثوري بكثير من القسوة والاضطهاد ومعاناة التمزق النفسي، والتعرض للتجويع .. خير محك لمعرفة الصامدين وتمييزهم عن سواهم من أشباه الرجال .

ومن خلال تطلعاتنا الى كل الاحداث الثورية عبر التاريخ البشري والى يومنا هذا ، وبصرف النظر عن التقييم والاعتبارات المذهبية ، لابد لنا ان نستلهم العبرة الخالدة من ملاحم الشدائد والمتاعب والازمات.. لان فيها مقياسا حيا لايخطيء في تحديد الرجولة والقيم الثابتة التي تلتصق بها الجماهير ، فتخط طريقها الكفاحي عبر خصبها النير المعطاء وعلى هديه تسير نحو غايتها المنشودة .

ان معركة الامة العربية اليوم ، وهي تواجه اعداءها الالداء من حاقدين وشعوبيين وتبعيين ووصوليين ورجعيين ، ليست معركة اعتباطية او مرحلية ، بل وبكل اصرار ومعاناة وعزم .. معركة مصيرية مستقبلية .. ذات ابعاد مبصرة ، مدركة ومسؤولة ..

وعلى الفنان العربي الثوري مسؤولية تاريخية كبرى ، لاتحتمل ادنى قدر من المساومة والموارية واللف والدوران .. ذلك ان عظم التضحية التي تقدمها طلائع الكادحين المناضلين في سبيل تحقيق مطامح شعبنا العربي العملاق بالغة منتهى الفداء ونكران الذات ، وحري بالفنان الثوري المعاصر ان يتصادى مخلصا وبكل جراة وايمان مع اجراس المعركة .. ان لم يكن بين صفوف الثوار الحقيقيين انفسهم .

لقد كشفت تجارب الشعب العربي من خلال صراعه الدامي المستمر مع الاستعمار والشعوبية والرجعية ومخلفات الرواسب الاقطاعية .. كل الافنعة الزائفة التي كان المحسوبون في عداد الفنانين الثوريين يغطون بها جباههم الممسوخة ووجوههم الصفيقة . ولم يعد بعد اليوم متسع للتساهل المائع مع هذه الزمر التي تعرت امام قنديل الفجر الانبعاثي .

ان طبيعة معركة الشعب العربي الحاسمة ، لاتتطلب من الفنان العربي الثوري ان يكون بمستواها من حيث العمق والمعاشاة .. ولكن اليس من الاخلاقية العربية ان يقف الفنان الى جانبها على الاقل ؟

ومن الضحالة الفكرية بمكان ، ان يتصور امثال هؤلاء الفنانين والادباء وادعياء الفكر الحر ، ان الجماهير الكادحة ، لها من قابلية التناسي والتفاضي والبلاهة العفوية ، مايجعلها تكفر عن اسوائهم العارية وتراثهم غير المشرف وهم يتهاوون على منزلق الخيانة ومستنقع السقوط الكريه .

ان الجماهير العربية الثورية قد تغفر لاولئك الذين انحدروا الى مساقط الزلل ، ثم كفروا عنها بتوبة الايمان والتجرد ، والاستمرارية الحية في النضال الى اخر الشوط .

ولكنها لن تغفر مطلقا لاولئك الذين احترفوا « الحربائية » والتلون السياسي والتمرغ في الوحل اكثر من مرة في حياتهم ، مستغلين اطماعهم الذاتية ، تجرها اليهم الظروف المتسمة بتحقيق بعض المنافع المادية الرخيصة ، غير مقدرين فداحة الثمن الذين يدفعونه مقابل هذا الانحدار والانزلاق ..

اتذكر بهذه المناسبة .. ان الناقد الفرنسي الكبير جورج دوهاميل قال مرة في كتابه « دفاع عن الادب » ما معناه : « ان الفنان العبقري الذي يعيش حياته بلا مبدأ او عقيدة أشبه مايكون بالمومس ، الهلوك الفائنة التي تمنح جسدها متعة للاخرين ، ولكن ذلك لايمنعهم من احتقارها » ..

ومن خلال ماتقدم ، نود ان نستعرض بعض الحقائق الموضوعية ، لنقدمها للجيل العربي الصاعد ، دون ان نعطي للعامل الشخصي اية اهمية نقدية او جوهرية ، ذلك ان الحقائق تستمد بالاصل من خلال تجارب وتفاعل الاشخاص مع الاحداث الثورية .

* * *

الاستاذ بدر شاكر السياب .. شاعر مجدد موهوب ، له من مقومات العبقرية الفنية الشيء الكثير وقد اعلنت رأيي هذا اكثر من مرة سواء فيما كتبت عنه .. او فيما ذكرت امام الاخرين .. وهو بالتالي صديق قديم ، اكن له في نفسي جميل الذكريات في حدود الرفقة الاخوية .

وانا لااريد هنا ان أسيء اليه شخصيا وهو يرقد اليوم في مستشفى سانت ماري بلندن بل الذي ارجوه من الاعماق كصديق يكن له الوفاء ان يسبغ الله عليه الصحة والعافية .

الشيء المهم ... ازاء المفاهيم التي طرحناها الان ، الا تصرفنا عوامل الصداقة والروابط الشخصية الخاصة عن غايتنا الموضوعية التي نسعى جاهدين الى التركيز عليها . ويقيني ان كل تستر مقصود على

الانحرافات الفكرية الخطيرة انما يشكل خيانة متقابلة سواء بسواء .. وبالتالي يشيع المزيد من طوابير المنحرفين والمشبوهين والمشوهين في دنيا الفكر والفن والادب ، ومن ثم يفسر لنا السكوت عنها اضفاء المشروعية عليها .

لقد بدأ الاستاذ بدر شاكر السياب .. شاعرا ماركسيا اصيلا ، وقد كشفت الموسوعة الجنائية التي تحتفظ بها دوائر الامن في بغداد ، بانه كان المنظم المسؤول لطلبة دار المعلمين العالية « كلية التربية والتعليم الان » واضطهد وطورد وفصل من وظيفته بسبب نشاطه الشيوعي على وجه التحديد .

ومن ثم حدثت تطورات بالنسبة لسياسة الحزب الشيوعي ، لاسيما بعد اعتراف الاتحاد السوفيتي باسرائيل ، وتأييد الحزب الشيوعي العراقي لسياسة الوطن الام ورفعه شعار الدفاع عن « الشعب الاسرائيلي الشقيق !! » في مظاهراته وبياناته السرية بعد وثبة عام ١٩٤٨ .... فانقطع خيط السياب عن الحزب ، بعد ان كان متخفيا في الكويت وايران.

وكان اخر لقاء ذكري بين السياب والحزب الشيوعي اقدامه على نشر قصيدته المعروفة « المومس العمياء » التي اعتبرها الشيوعيون في حينه دعوة للشوفينية والتحريفية ! بينما اعتبرها القوميون الثوريون اول مكسب شعري قومي اصيل يصدر عن الشاعر السياب ، لذلك اقتصر شراؤها على القوميين وحدهم ، في حين أن قصيدته « حفار القبور » التي ينصب موضوعها على الدعوة للسلام العالمي واستنكار الحروب ، لاقت قبولا من القوميين والشيوعيين معا .

وفي عام ١٩٥٤ ، كان بدر شاكر السياب في بغداد ... فكانت فرصة طيبة للتعرف عليه شخصيا ، واقسم انني كلفت ايضا بضرورة الاتصال به ، وافهامه بانه لم يعد وحيدا في الميدان .. وان كل الطلائع العربية الثورية ستمنحه كل معطيات الوفاء والمشاركة الوجدانية بشكل مفتوح ، توكيدا منا على اصالته العربية التي رفضت مؤخرا وبعد طول تجربة مريرة الاتجاه الشيوعي .

وفي الوقت الذي تحول السياب من شيوعي الى قومي ـ او هكذا كان يبدو ـ انقلب الشاعر عبد الوهاب البياتي القومي الى ماركسي طامع بالشهرة باية طريقة .. فشغل بذلك مكان السياب الشاغر رسميا لدى اوساط الحزب الشيوعي .

لقد كنت الازم السياب ملازمة الظل ، ونتفاعل في كثير من الشعور القومي بالقدر الذي تسمح به ظروفه النفسية الجديدة . وقد قرأ رفاق مجلة « الاداب » سيلا من القصائد القومية الرائعة خلال تلك الفترة وما بعدها .

واني لاشهد بان قيم الشعب العربي في الوحدة والحرية والاشتراكية لم تتسلل الى اعماق وجدانه بالصورة العقائدية المنظمة ، كما توهم الكثيرون مع الاسف .

واشتركنا معا في مؤتمر ادباء العرب الذي انعقد في صيف عام ١٩٥٦ في بلودان .. وكنت انذاك عضوا مشاركا ، بينما كان الاستاذ السياب عضوا اصليا رشحته حكومة نوري السعيد .

وبعد عودتنا قدمت الى المحاكمة يوم ٣٠ ـ ١٠ ـ ١٩٥٦ ، وكانت التهمة انني نشرت قصيدة في جريدة « البعث » بعنوان : « سجين وراء الستار السعيدي » التي اعتبرتها دوائر الامن تحديا لحكومة من موظف بسيط ، وانني القيت قصيدة في المؤتمر تحيي تأميم شركة قناة السويس ، وتشيد بدور الشعب العربي البطولي في معركة بور سعيد الخالدة ... ومن ثم صدر قرار بفصلي من المصرف الزراعي في اليوم التالي ، بينما ظل السياب موظفا في مديرية المستوردة العامة التي كان الشيوعيون يعششون فيها بشكل مفضوح ويعلم من السلطة الحاكمة .. وكانت احاديث الرشاوي والسرقات وابتزاز الاموال من التجار المستوردين تزكم الانوف .

وذات يوم كنت في دار الصديق السياب بزيارة اخوية ، فلاحظت عليه اهتماما حاول جهده كتمانه عني .. ولكنه لم يستطع الصمود ... ثم فاتحني بما وراءه : كان يرجوني بالحاح ان نقابل في اليوم التالي

بدر شاكر السياب

وفي مطار بغداد السيد يوسف الخال المعروف باتجاهه المعادي للعروبة.. فاستنكرت منه التجرؤ على مفاتحتي بمثل هذا الموضوع وهو يعرف مدى التزامي العقائدي .

وكان اخر عهد لي به .. وعرفت بعد ذلك انه سافر الى بيروت بدعوة من مجلة « شعر » والقى مجموعة من شعره في قاعة الجامعة الامريكية . ومما زاد في مخاوف السياب مني شعوره بانني اسير في خط واضح لايرتضيه . وللحقيقة والتاريخ .. اذكر انه في عام ١٩٥٦ تم تشكيل اللجنة الوطنية للادباء الثوريين التي انبثقت من « الجبهة الوطنية العليا » بمختلف الاتجاهات السياسية .

وقد دعوت السياب الى الانضمام اليها ، ولكنه حضر اجتماعا واحدا وهو يرتعد فرقا ورعبا ، ويتطلع الى النافذة بارتجاف شديد ، ثم لم نلمح لوجهه اثرا بعد ذلك ، وقد عذرته لتصرفه هذا ، شعورا مني بان السياب في حدود قابلياته قد لايقوى على الصراع في ذلك الجو الارهابي العنيف ، بالاضافة الى انه غير ملتزم التزاما منظما تستتبعه المسؤولية الخاصة .

وبدلا من ذلك .. راح السياب يعمل محررا باجر في مجلة « الاسبوع » لصاحبها العميل البريطاني المعروف يحيى قاسم ... الى ان قامت ثورة ١٤ تموز المجيدة ... حيث وضعت السلطة الوطنية يدها على مطابع جريدة « الشعب » و « الاسبوع » .. وصدرت بعد ذلك جريدة « الجمهورية » التي كانت في الحقيقة صوت الطليعة العربية التقدمية .

التقيت بالسياب في الادارة .. وتعانقنا طويلا بعد طول جفوة .. واتذكر جيدا ان الاخ علي صالح السعدي « نائب رئيس الوزراء اليوم» كان بجانبي فرمقني بنظرة فيها دلالتها .. ففغرت للسياب زلته ، وعدت اليه اخا وفيا امنحه عمق الشعور السابق ذاته .. رغم كل ما حصل .

ومر شهر .. والسياب لما يزل يعمل محررا معنا في مجلة « الجمهورية » .. وبشعور من الالم العميق كشف لي مسؤول مهم في الوزارة الثورية انذاك .. ان السياب كان يقبض من حكومة نوري السعيد بضعة دنانير لقاء تحرير بعض الكراسات في تمجيد مشاريع الحكومة والدعاية لها .. واطلعني المسؤول على الدليل المادي الذي يدين صديقي السياب وقال لي : أهذا صديقك ؟! فشعرت وقتئذ بمرارة الاحراج ..

وعندما اعتقل البطل عبد السلام محمد عارف .. استتبع ذلك اعتقال اكثر محرري جريدة الجمهورية ، ولم يكن السياب والحمد لله من بين المعتقلين ... ولم استطع الاتصال به بعد ذلك .. حيث تطورت الامور سريعا ، ثم كانت ثورة الشهيد عبد الوهاب الشواف وفوجئت وانا معتقل في مديرية الامن العامة مساء الثالث عشر من اذار عام ١٩٥٩ بالسياب يدخل ضيفا جديدا معنا .. وتجدد لقاؤنا .. وعرفت ان سبب اعتقاله يعود الى رفضه التوقيع على عريضة بشتم الرئيس

جمال عبد الناصر والجمهورية العربية المتحدة فاكبرت منه هذا العمل الشريف ... وشعرت اننا جميعا نعيش في محنة امام المجازر الوحشية والاعمال الفاشية التي يرتكبها الشيوعيون ، خونة الشعب والجبهة الوطنية وسدنة النظام القاسمي الديكتاتوري .. ثم خرج السياب في الليلة نفسها من المعتقل !

ومرت الفترة الرهيبة التي عاشها شعبنا العربي في العراق بعد مزيد من التضحيات وتنفس القوميون الصعداء .. وكانت جريدة « الحرية » تنشر مقالات متسلسلة لبدر شاكر السياب بعنوان « عندما كنت شيوعيا » وهي مذكرات على منتهى الضحالة حتى لامه عليها اصدقاؤه ، لانها كانت تحوي نماذج حية للبذاءة وسقط الالفاظ ونهش اعراض رفيقات الحزب الشيوعي ، مما لاترتضيه اخلاق العربي الشهم..

هذا بالاضافة الى ان مذكراته او ذكرياته لم تكن لتحتوي على تحليل موضوعي لتجربة مرتد ، يستفيد منها الاخرون ..

وحضر السياب من جديد الى بيروت ، بدعوة جديدة من مجلة « شعر » اياها ... واستمر ينشر فيها قصائده .. حتى قامت بطبع ديوانه « انشودة المطر » ...

ثم اخذ ينحدر الى الهاوية شيئا .. فشيئا .. الى ان حضر المؤتمر الذي انعقد في روما قبل عامين من قبل « المنظمة العالمية لحرية الثقافة ! »

ولما عاد .. اخذ يحرر بعض المقالات المسمومة التي تشتم القوميين ويكيل المديح جزافا الى السلطة الغاشمة والديكتاتورية القاسمية بشكل مخجل !

وكانت خاتمة المطاف سلسلة من القصائد في مدح الطاغية كريم قاسم والتعريض بالمكافحين الاحرار الذين يقفون في طريق جبروته .

المهم ان الاسلوب الشعري الذي مارسه السياب في المديح ، لايمكن ان يصدر الا عن النظامين المتسولين والشحاذين والمرتزقة ..

وسأضع بين يدي القاريء نماذج دامغة مثيرة من شعره .. وهذه أولى قصائده ارسلها من بيروت بعنوان « ياابا الاحرار » وهو يقصد سيده الطاغية كريم قاسم « جريدة العهد الجديد ـ عدد ٤٧٧ ـ تاريخ ١٩ ـ ٧ ـ ١٩٦٢ »قال السياب :

هب في الفجر هبوب العاصفات ... قدر حطم ابواب الطغاة
قدر من سدة الله سعى ... يزرع الزيتون في الارض الموات
يالها من قبضة في حدها ... يكمن الموت واسباب الحياة
حررت اعناقنا من نيرها ... وانارت في الليالي المظلمات
ياكريما مارأينا .... مثله !!! ... من كريم ، يانجي المكرمات
لم تلح لولاك في ذاك الدجى ... شمسنا ، او تهو اصنام البغاة
يا أبا الاحرار ، يارافعها ... راية تزهو على شط الفرات
دم لشعب عاش من تموزه ... في نعيم فوق أشلاء الطغاة

هكذا وبكل بساطة متواضعة ... وسذاجة المراهقين ، يقدم الشاعر السياب القربان المدنس للاله المسخ .. عجيب ان يرى السياب في كريم قاسم الطاغية الذي فتك بابناء الشعب .. محررا جبارا ... قدرا يزرع الزيتون في الارض الموات .. ولا ادري من كان « يزرع آلهامات في ارض الاباة » ياسيد بدر ؟!! من هو الذي نحر ابطال ثورة ١٤ تموز ؟! ومن اغتال اهدافها السامية ؟! لاشك ان سيلان اللعاب على انفاس الدنانير قد انست صاحبنا حتى كرامته .. كان لم يكن السفاح قاسم كريما في ذبح الشعب وتقتيل خيرة ابنائه ..

انا لااريد هنا ان أتعرض بالتقييم والتقدير الى التفاهة الفنية الشعرية لهذه المقطوعة واترك الحكم عليها للنقاد .. ولكني استشعر بالمهانة العميقة لشاعرنا وآية مهانة ؟! لقد اضطر السياب ان « يسلق » نهر الفرات « بيضة » فاسدة على قارعة القافية الهضيمة ، فالذي يعلمه ابناء العروبة ان الراية العربية ارتفعت عاليا من بغداد على نهر دجلة يوم اعلن البشير البطل عبد السلام عارف ميلاد الجمهورية فجر الرابع عشر من تموز الخالد .. فهل نسي شاعرنا التاريخ القريب ؟!!

الشيء المعروف عن الاوساط الرسمية ان الشاعر السياب قبض من عبد الكريم قاسم بعد هذه الابيات ..٥ دينار لمساعدته على المعالجة الطبية .. شفاه الله وعافاه ..

وكان مولد القصيدة الثانية بعنوان « نشيد ١٤ تموز » المنشورة في « جريدة الايام ـ تاريخ ١٥ ـ ١٠ ـ ١٩٦٢ قال السياب لافض فوه :

ربيع شبابنا عادا ... بفخر لف بغدادا
كأن شعاعه نادى ... بلغنا غاية الارب

* * *

كريم اطلع الصبحا ... على الشعب الذي ضحى
فأعلى من سنى صبحا ... واعلى راية العرب

* * *

دحا بوابة السور ... واطلق كل مأسور
وقاد من المفاوير ... ليصفع خدي العطب

* * *

رمى بالموت من ظلموا ... فعاد الشعب يبتسم
كريم ، انما الكرم ... جهاد خيض في اللهب

* * *

زعيم الشعب نفديه ... وبالارواح نحميه
هنانا من ايادية ... فحيوا قائد العرب !

أهذه عبقرية السياب ؟! هل هذا من الشعر التجريدي ؟! اين القيمة الثورية للشعب اذا كانت الجماهير المناضلة تفدي صعلوكا ؟!.. لقد ثبت السياب وجود الشعب مقرونا بوجود طاغية .. ناهيك عن الالفاظ الباهتة والمعاني الجاهزة الخالية من كل محتوى فني عرف عنه .. ولكن ما العمل والفن ينحر على مذبح اعداء الشعب بمثل هذه الضحالة ؟!!

ثم ينتقل السياب المستجدي على اعتاب باعة الوجدان ، فينشر قصيدة بعنوان « الزعيم المنقذ » ... « جريدة العهد الجديد ـ عدد ٥٧٥ ـ تاريخ ٩ تشرين الثاني ١٩٦٢ » قال السياب :

اطل فرش الليل نارا وانجما ... ونور افقا كان اولاه مظلما
وقبر من الالام .. كان نزيله ... ملايين سبع عانت الجوع والظما
اذا سامها بالسوط والنار ظالم ... ونحته عنها صادفت منه أظلما
وان سحبت انفاسها قام ديدن ... وان زفرت نادى بويل وزمزما
معلقة الابصار بالرمل تارة ... وبالنجم تستجليه ماكان مبهما

صدر اليوم :

تأليف ناجي علوش

الثورة والجماهير

مراحل النضال العربي
١٩٤٨ ـ ١٩٦١
ودور الحركة الثورية

دار الطليعة ـ بيروت ص . ب ١٨١٣

اما للدجى من طلعة الفجر اخر ... وللداء من برء فقد لوث الحمى ؟ ... لك الحمد ماابقيت للشر مكمنا ... ولم تبق للاشرار وجها ملثما
واقبلت فانجابت من الشر سدفة ... وقد كنت للداء الذي عم بلسما ! ... كما تفضح الشمس اللصوص ففحتهم ... وعريت للانظار من كان مجرما
وايقظت هذا الشرق في فجر ليلة ... سهرت بها للشعب في حين نوما !! ... شملت بجود منك شرقا ومغربا ... فان انكروا هذا فقد يعذر العمى
فلله ماأسديت فضلا ومنة ... وجوزيت بالنصر الالهي منعما ... وثغرك بسام على كل شدة ... وعزمك امضى كان منها واعظما
كريم ولا والله مامنك حاتم ... رأيناه اذ غامرت بالروح اكرما ... ويا بطلا من ارضنا قام بيننا ... اعدت لنا من مجدنا ما تهدما! !
ثارت لالاف الثكالى كانما ... شهرت ابتهالات المساكين مخذما ... فاحييت هارونا وابطال بابل ... كانك في الاعجاز عيس بن مريما
وقرت من الموتى عيون ومثلها ... عيون من الاحياء ان ثرت ضيغما ... فديناك يامن قمت بالروح فاديا ... ملايين كانت تجرع الجوع والظما
فيا قائد الشعب الذي انت روحه ... به ناضرب الاعداء فالشعب اقسما ... سموت فكل الشعر يعيى جناحه ... مداك الذي ماطاله كل من سما
بعينيك لايخفي وان دق هاجس ... سرى في ضمير او تانى ، عليهما
ليستعذبن الموت ان شئت واللظى ... فما كنت الا بالبطولات مغرما
وحيران في بيروت بالداء هده ... وبالفقر لم يملك من المال درهما
اذا جاع واحتاج الدواء ..تحيرت ... خواطره ماذا سيشربه منهما
غريب اذا مرت به الطير اجمت ... من الدمع في عينيه جمرا مضرما
يحن الى زغب ، ويشجيه انهم ... يجوعون في واد من الخير افعما
يصيحون« يابابا » فيبكيلها الصدى ... وتبكي لها الجدران والارض والسما
مددت له من حيث لايرتجي يدا ... اقالته من قبر تناءى وأظلما
فاقسمت لم يشبهكفي الجودمنسخا ... وغنت به الركبان : أعطى وانعما
اذا ماافتدك الروح ماكان سعيها ... سوى رد معروف وقد كنت اعظما
وليس كثيرا منك انقاذ بائس ... فبالامس انقذت الملايين منعما
فعادت ليالي الشعب عبدا من السنا ... وأيامه اثمرت بالخير ..برعما
وصفق من لم يعرف الانس قلبه ... وغنى الذي كانت لياليه مأتما
ولما رأيت الشر كشر ... نابه !! ... وفتح عينيه وارغى وزمزما
نشرت له من فسحة الحلم ملعبا ... فلما بغى حطمت نابا ومعصما
احبك لاارجو ثوابا على الذي ... يكن فؤادي من هوى فيه اضرما
رأيتك للاجلال أهلا وللمنى ... ملاذا تأعلنت الخفي المكتما
لئن كان حب الحاكمين جناية ... لقد عاد هذا اليوم فخرا ومغنما
فان كريم القوم يهوى كريمهم ... وكان لئيم عاشقا منه الاما

ولم تبق للاشرار وجها ملثما
وعريت للانظار من كان مجرما
فان انكروا هذا فقد يعذر العمى
وعزمك امضى كان منها واعظما
اعدت لنا من مجدنا ما تهدما! !
كانك في الاعجاز عيس بن مريما
ملايين كانت تجرع الجوع والظما
مداك الذي ماطاله كل من سما

*

أرأيت ايها القاريء العربي ، كيف يتطاير الحقد واللؤم والكراهية من خلال سطور القصيدة ؟! أرأيت كيف يشتم السياب شهداء أم الطبول الذي اغتالهم قاسم من بين صفوف الشعب والجيش ؟!

لك الحمد ماابقيت للشر مكمنا ... ولم تبق للاشرار وجها ملثما
كما تفضح الشمس اللصوص ففحتهم ... وعريت للانظار من كان مجرما

لعل السياب واجد له عذرا ، بانه يعني الشيوعيين .. ولكن .. لا ! اما الالقاب والكنى والاوسمة الفضفاضة التي اضفاها على سيده!.. فهي لاتحتاج الى تفصيل وتحليل .. فقد اخزى صاحبنا الفن وسود جبهته وجرح كرامته واعاد تراث عصر الشطار والعيارين والشحاذين ، المحمل بالعبودية والاسترقاق ، فبالضيعة الادب ، وبالتعاسة التجديدفي درب العبيد !

ثم قبض السياب الدفعة الثانية من سيده الطاغية كريم قاسم وقدرها ٢٥٠ دينارا ، فبلغ مجموعة ماتسلمه ٧٥٠ دينارا ...

ولكن هل يكتفي السياب بعد كل هذا ؟! هل كانت عقدة المرض هي التي فجرت قريحته تفتحا وانطلاقا في مهوى الكرامة .. او ان عقدة الاستجداء قد استقرت في اعماقه اصالة وعقيدة ومستوى اخلاقيا من نوع معين ؟!!

ثم طلع السياب على القراء في « جريدة العهد الجديد عدد ٦٢٧ تاريخ ١١ ١ ـ ٦٣ » اي قبل ثورة ١٤ رمضان التقدمية بشهر تقريبا بقصيدة عنوانها « عبدالكريم اغثني » هذا نصها :

عبد الكريم اغثني .. هدني الداء ... وحطمتني أرزاء وأعباء
انت المغيث الذي يمناه ماكذبت ... في فجر تموز اذ نام الارقاء
وقام حول سرير الملك ساقية ... سكرى تغني وكل الشعب انضاء
فجرتها ثورة صاح الزمان لها ... لولاك ماعتز بالابناء أباء
ولا تحرك شعب من غيابته ... ولا هوى التاج وانفك الاذلاء
بالامس مدت يد نحوي لترفعني ... من قاع قبر سحيق منك بيضاء
فلو تراني اذ امشي وقد رجفت ... مني الخطى واصاب الظهر اعياء
بكيت من رحمة يامن مدامعه ... على مصائب هذا الدهر خرساء
اليوم يرغب أموات العراق به ... ان يبعثوا ، فالحياة اليوم نعماء
فكيف بالحي شام الموت يقصده ... جوعان دامي الحشا والعين حمراء
لاتتركني لقبر سوف انزله ... ان لم تغثني بما شاء الاطباء

ثار العميل وقد اغراه متسع ... من حلم أصيد لم تفرره علياء
يرى غدا قبل بدء اليوم ناظره ... ويبصر النور والافاق ظلماء
ثار العميل وقد اغراه ليث وغى ... لايعرف الزأر الا حين يستاء
فشردته نسور الجو .. ترجمه ... نارا ويلعنه طفل وعذراء
لم يدر ان العراق اليوم تحرسه ... ذو همة عبقري الفكر وضاء
درس لكل عميل انت ضاربه : ... انا ابن شعبي فلا تقهره اعداء
فامدد يمينك نحوي واجل غاشية ... سدت علي سمائي فهي سوداء
فان عهدك لاداء يسود به ! ! ... ولا رياء ولا ظلم وايذاء!

لااريد هنا ان اعلق على هذه القصيدة بشيء ، ويكفي انها تعبر عما في مطاويها من الوان الاستعطاف والذل والاحتضار . غير اني احب

التتمة على الصفحة ٦٥ ـ

صدر حديثا

أزمة الجنس في القصة العربية

تأليف غالي شكري

دراسة وافية عميقة عن قضية الجنس وكيف عالجها اشهر الروائيين العرب المعاصرين

الثمن ٤٥٠ ق.ل منشورات دار الآداب

قضايا الادب والادباء

ـ تتمة المنشور على الصفحة ١٤ ـ

ان اخلص الى حقيقة موضوعيه من كل ماتقدم : ان السياب مدح عبد الكريم قاسم ، واثنى عليه .. وبادر هذا بدوره الى مكافأته بسخاء واجزل له العطاء ، بصرف النظر عن كل الظروف السياسية المحيطة بالموضوع .

فهل من الشهامة والنبل والاريحية والاصالة العربية ان يشتم الشاعر السياب سيده الذي فضى عليه الشعب ، بعد ان امتدحه كثيرا ابان حياته وسلطته وجبروته ؟! اليست لديه حرمة لميت حاول انقاذ حياته ؟!

انا لااريد ان ادافع عن الطاغية المقبور ، ولكن القضية ينبغي ان تطرح من الزاوية التي ينظر من خلالها السياب على الاقل ..

لقد سبق لمجلة « الاداب » ان تعرضت فيما مضى الى بدر شاكر السياب لتعامله وتعاونه مع مجلة « شعر » و « المنظمة العالمية لحرية الثقافة » وكانت تنظر اليه باعتباره شاعرا قوميا .. ثم ابدى السياب توبة جديدة وما اكثر توبات ابن آوى !!

ولهذا السبب الرئيسي كما اعتقد ـ لادفاعا عن « الاداب » ولكن دفاعا عن الحقيقة ، نشرت له المجلة في الصفحة الثانية من « عددها الثالث اذار ١٩٦٣ ـ السنة ١١ » قصيدة بعنوان « قصيدة الى العراق الثائر » ... وانا وان كنت افضل ان يرجع القارىء اليها كاملة .. الا أني اقدم اليه بعضا من ابياتها على سبيل الاستشهاد الموجز :

وانهار « جنكيز » اللعين ، وخر الهة النضار
والله عاد الى المساجد بعد انطلع النهار
طلع النهار ، فلا غروب !

رفعت الى الله الدعاء : الا أغثنا من ثمود !
من ذلك « المجنون » يعشق كل احمر .. فالدماء
تجري والسنة اللهيب تمد ، يعجبه الدمار ! ! !

الجيش ثار ومات «قاسم»أي بشرى بالشفاء
فلتحرسوها ثورة عربية صعق « الرفاق »
منها .. وخر الظالمون ، لان تموز استفاق
من بعد ماسرق « الزنيم » سناه

الى اخر الحكاية المهلهلة .. وبقدرة قادر تحول زعيم السياب المنقذ الى جنكيز لعين .. الى زنيم ! !

وللحقيقة اشهد ، ان هذه القصيدة احدثت في العراق رد فعل عنيفا بين اوساط الشباب العربي الثوري الذي يكن لمجلة « الاداب » وصاحبها الاخ الدكتور سهيل ادريس الاكبار والود . وكنا واثقين وقتئذ بان المجلة ليس لديها علم بقصائده السابقة .. مما خفف فينا حدة الشعور بالالم (*) .

هذه لمحات استعراضية عن موقف الفنان والخلق الثوري الواجب الالتزام ، وقد اتخذنا من السياب نموذجا موضوعيا للدراسة .. أخذين بنظر الاعتبار التطور الزمني وتفاعلاته مع الاحداث قدر الامكان .. وفي النهاية ارجو من الاعماق ان يسبغ الله عليه ثوب العافية وان يهديه الى تلمس طريق الكرامة في الحياة .

بيروت — علي الحلي

(*) تعليق « الاداب » : الواقع اننا لم نكن نعرف تلك القصائد ، وان كنا نعرف تلون السياب وضعفه ، غير اننا حين نشرنا قصيدته الاخيرة لم نستطع ان نتناسى ان حالته الصحية كانت في غاية السوء ...

دار الاداب تقدم :

محاورات في السياسة

بقلم جان بول سارتر ، دافيد روسيه ، جيرار روزنتال

ترجمة جورج طرابيشي

مناقشات هامة تحتاج اليها الطليعة العربية في بحثها عن التخطيط السياسي والاقتصادي والاجتماعي الواجب اتباعه ، وفي محاولة تكوين الاحزاب التقدمية والتجمعات الثورية .

صدر حديثا — الثمن ليرتان لبنانيتان

مغامرة الإنسان

بقلم سيمون دو بوفوار

ترجمة جورج طرابيشي

الكتاب الاول الذي كشف عن عبقرية الكاتبة الوجودية العالمية . وفيه دراسة عميقة عن اوضاع الانسان في مغامرة الحياة .

صدر حديثا — ١٥٠ قرشا لبنانيا